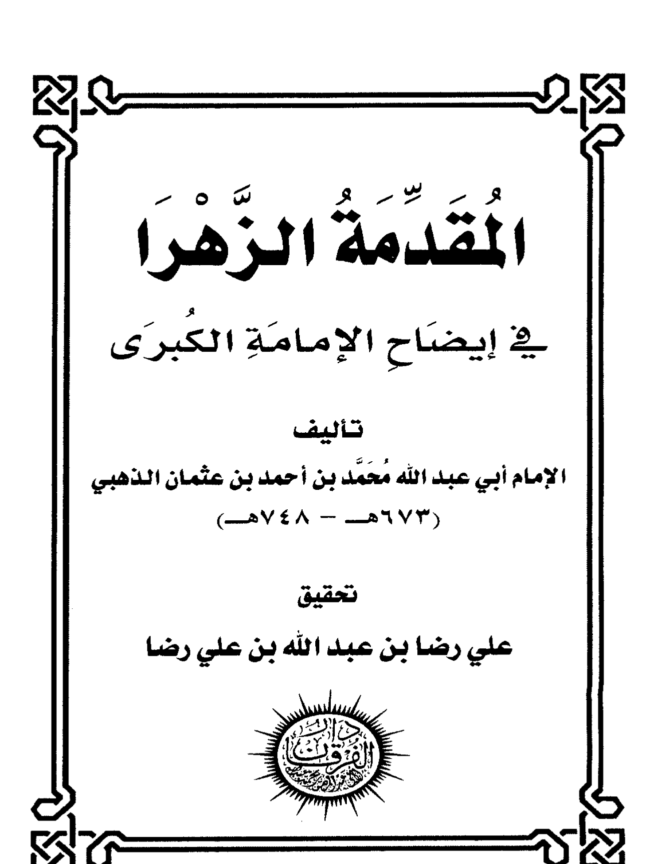


المُقَدِّمَةُ الزَّهْرَا

في إيضَاحِ الإمامَةِ الكُبرَى

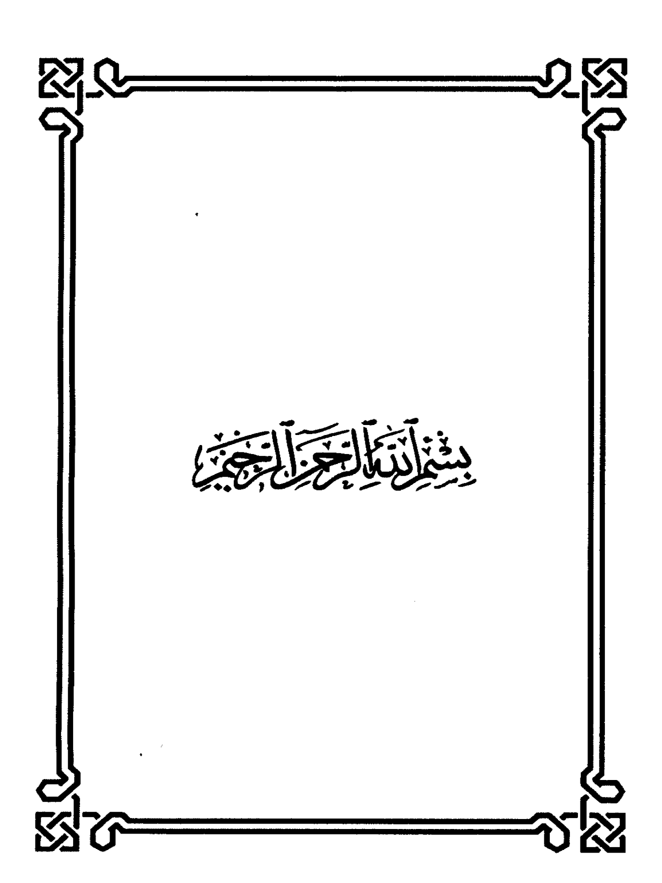
تأليف

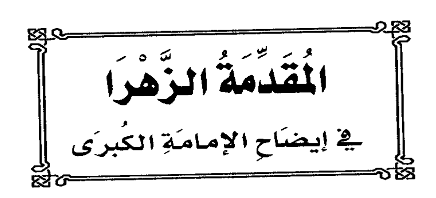
الإمام أبي عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان الذهبي

(٦٧٣هـ - ٧٤٨هـ)

تحقيق

علي رضا بن عبد الله بن علي رضا


بسم الله الرحمن الرحيم


المُقَدِّمَةُ الزَّهْرَا
فِي إيضَاحِ الإمامَةِ الكُبرَى



الطبعة الأولى

١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٦١٨ / ٢٠٠٨م

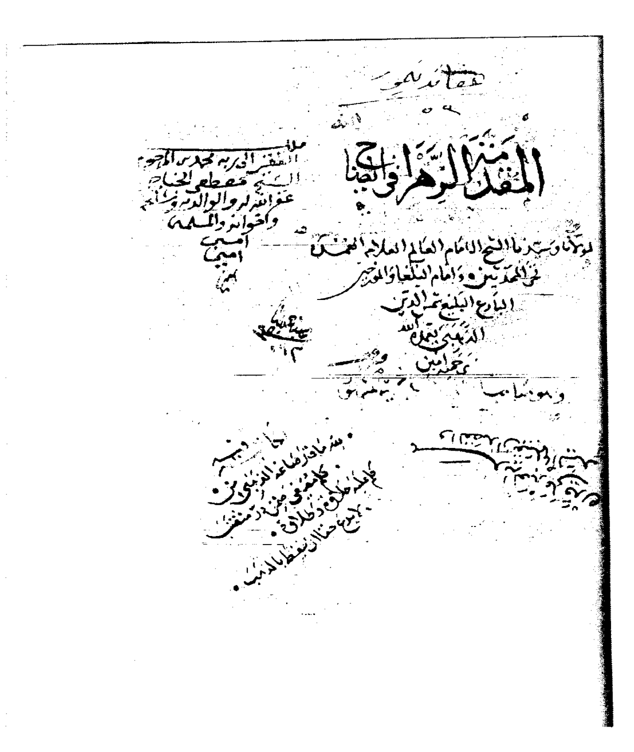
دار الفرقان للنشر والتوزيع

لأبي عبد المصور محمد عبد الله

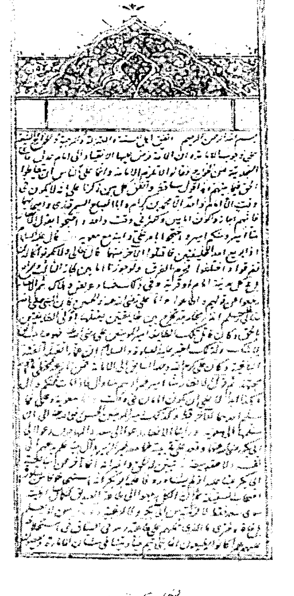
القاهرة - مساكن عين شمس - ش مسجد الهدي المحمدي

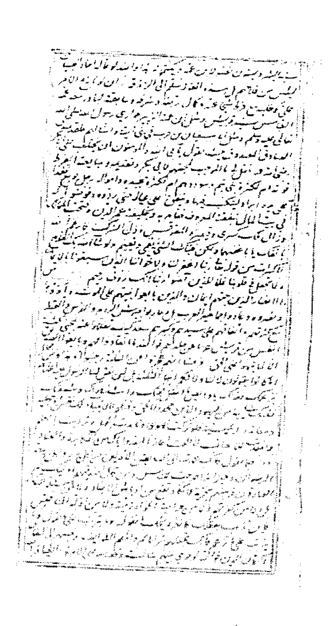
هاتف وفاكس: ٢٢٩٥٣٢٩٧ /٠٠٢٠٢ - محمول: ٠١٠٥٦١٨١٧٩

E_mail :abdel_m2005@yahoo.com



الصورة الأولى من المخطوطة «ت»





الصورة الأولى من المخطوطة «ن»

ترجمة الإمام الذهبي من كتاب:
(إيضاح بُغية أهل البَصارة في ذيل الإشارة)
لتلميذ تلامذته مؤرخ مكة: تقي الدين الفاسي

قال في وفيات سنة ٧٤٨هـ:

«وفيها توفي بدمشق حافظ الديار الشامية، والمصرية العلامة: شمس الدين، أبو عبد الله، مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، التركماني الفارقي الدمشقي الشافعي، المعروف بابن الذهبي، صاحب التصانيف الكثيرة المشهورة، في ليلة الاثنين، ثالث ذي القعدة، عن خمسٍ وسبعين سنة.

عُنِيَ بسماعِ الحديثِ، ومعرفة رواية المتقدمين والمتأخرين، وعلله، ففاز من ذلك بأوفر قسم، وصنف التصانيف الكثيرة النافعة، وسمع ما لا يحصىٰ كثرة بالديار الشامية، والمصرية، والحَرَمَينِ، وغير ذلك.

وشيوخه بالسماع، والإجازة: نحو ألفٍ وثلاثمائة شيخ يحويهم معجمه الكبير «معجم الشيوخ الكبير» وله معجم يختص بشيوخه المحدثين.

ومن أعلى شيوخه بالسماع: أحمد بن عساكر، وعمر بن القواس، والأبرقوهي.

ومن تصانيفه:

(١) «ميزان الاعتدال في معرفة أحوال الرجال». في أربع مجلداتٍ.

(٢) و«المغني». مختصرٌ و«طبقات الحفاظ».

(٣) «وطبقات القراء».

(٤) «تاريخ الإسلام»، في عشرين مجلدًا.

(٥) و«العبر»، في مجلد ضخم.

(٦) «سير أعلام النبلاء»، في عشرين مجلدًا. وقيل ستة، وهو وهم، فإن تأليفه الذي في ستة هو «الممتع».

(٧) و«دول الإسلام»، في مجلد.

(٨) و«كتاب التجريد في معرفة الصحابة»، مختصر في مجلد.

(٩) و«الكاشف في رجال الكتب الستة»، اختصره من تهذيب الكمال.

(١٠) و«المشتبه في الأسماء والأنساب»، في مجلد.

(١١) و«اختصار تاريخ دمشق» لابن عساكر، رأيته بخطه

في عشر مجلدات.

(١٢) و«اختصار تاريخ نيسابور»، في مجلد.

(١٣) و«اختصار تاريخ بغداد للخطيب»، مجلدان.

(١٤) و«اختصار تهذيب الكمال»، للمزي في أربع مجلدات.

(١٥) و«اختصار الأطراف»، للمزي، في مجلدين.

(١٦) و«اختصار السنن» للبيهقي.

(١٧) و«اختصار المستدرك» للحاكم، في مجلدين.

(١٨) و«تأليف في معرفة القرون».

(١٩) و«تأليف في معرفة الكبائر»، مجلدان، وكان يكره نسبتهما إليه، لأن الناس كانوا يقولون: «الكبائر» للذهبي، و«القرون» للذهبي.

(٢٠) و«الإشارة في وفيات الأعلام»، الذي ذيلت عليه، وأوضحتُ ذيله في هذا التأليف.

(٢١) و«الإعلام في وفيات الأعلام»، ويسمىٰ «درة التاريخ».

(٢٢) و«نبأ الدجال».

(٢٣) و«ما بعد الموت»، مجلد.

(٢٤) و«تحريم الأدبار»، جزءان.

(٢٥) و«أحاديث مختصر ابن الحاجب».

(٢٦) و«أخبار الشدة».

(٢٧) و«توقيف أهل التوفيق على مناقب الصديق».

(٢٨) و«نعم السمر في سيرة عمر».

(٢٩) و«التبيان في مناقب عثمان».

(٣٠) و«فتح المطالب في أخبار علي بن أبي طالب».

(٣١) و«هالة البدر في عدد أهل بدر».

(٣٢) و«نفض الجُعبة في أخبار شعبة».

(٣٣) و«قضِّ نهارك بأخبار ابن المبارك».

(٣٤) وله في أخبار الأئمة الأربعة، ومن جرىٰ مجراهم تصنيف في كلٍّ واحدٍ.

(٣٥) و«المستحلىٰ في اختصار المحلىٰ».

(٣٦) و«تنقيح أحاديث التعليق» لابن الجوزي.

(٣٧) و«المغني في الكنىٰ».

وغير ذلك.

ولي خطابة (كفربطنا) من غوطة دمشق مدة، ثم ولي مشيخة الحديث بدمشق في أماكن، منها الظاهرية، والنفيسة، والتنكزية،

وولي مشيخة الإقراء بتربة أم الصالح، وأضرَّ في سنة إحدىٰ وأربعين وسبعمائة، حتىٰ مات، وما زال يكتب ويدأب حتىٰ أضرَّ.

وتواليفه التي في مقدار كراسة وشبهه، وأقل منه، كثيرة جدًّا، ولم يكن بعد الحافظ المزي أحفظ منه، وله شعر منه قوله:

«إذا قرأ الحديث علي شخصٌ

وأخلىٰ موضعًا لوفاة مثلي

فما جازىٰ بإحسان لأني

أريد حياته ويريد قتلي»

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[الحَمْدُ لله وكَفَىٰ، وَسَلامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الذينَ اصْطَفَىٰ][١]

اتَّفَقَ أَهْلُ السُّنَّةِ، والمعَتزِلَةُ، والمُرْجِئَةُ، والخَوَارِجُ، والشِّيعَةُ عَلَىٰ وُجُوبِ الإِمَامَةِ، وأَنَّ الأُمَّةَ فَرْضٌ عَلَيهَا الانْقِيَادُ إِلىٰ إِمَامٍ عَدْلٍ، حَاشَا النَّجْدِيَّةَ مِنَ الخَوَارِجِ، فَقَالَوا: لا تَلْزَمُ الإِمَامَةُ، وإِنَّمَا عَلَىٰ النَّاسِ أَنْ يَتَعَاطَوْا الحَقَّ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وهَذا قَوْلٌ ساقِطٌ.

واتَّفَقَ كُلُّ مَنْ ذَكَرْنَا عَلَىٰ أَنَّهُ لا يَكُونُ في وَقْتٍ إلا إِمَامٌ وَاحِدٌ، إلا مُحَمَّدَ بْنَ كَرَّام[٢]، وأبا الصَّبَّاحِ السَّمَرْقَنْدِيَّ[٣] وأَصْحابَهُما، فإِنَّهُمْ أَجازُوا كَوْنَ إِمَامَيْنِ وأَكْثَرَ في وَقْتٍ واحِدٍ، واحْتَجُّوا بِقَوْلِ الأَنْصارِ: «مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ»[٤]، وَ[احْتَجُّوا][٥]

---

(١) ليست في نسخة (ن).

(٢) السجستاني، صوفي، من المجسِّمة، إمام ضلالة. انظر ترجمته في «تاريخ الإسلام» (٦/ ١٨٨).

(٣) من غلاة المبتدعة قال ابن حزم في «الفِصَل»: «كان يقول إن الخلق لم يزالوا مع الله، وإن ذبائح أهل الكتاب لا تحل، وإن أبا بكر أخطأ في قتال أهل الردة». «لسان الميزان» (٩/ ٩٨).

(٤) رواه البخاري في «صحيحه» برقم (٣٤٦٧).

(٥) سقطت من نسخة (ن).

بِأَمْرِ عليٍّ وَابْنِهِ[(١)] مَعَ مَعَاوِيَةَ.

قُلْنَا: قَال عليه [الصلاة] والسلام: «**إذا بُويِعَ أَحَدُ الخَلِيفَتَيْنِ، فاقْتُلُوا الآخِرَ مِنْهُما**»[(٢)].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٥] فحَرَّمَ التَّفَرُّقَ، وَلَوْ جَوَّزْنَا إمَامَيْنِ لَجَازَ: الثَّالِثُ، وَالرَّابِعُ، بَلْ في كُلِّ مَدِينَةٍ [إمَامٌ] أوْ قَرْيَةٍ، وفي ذَلِكَ فَسَادٌ عَرِيضٌ وَهَلاكٌ.

ثُمَّ الأَنْصَارُ رَجَعُوا عَنْ قَوْلِهِمْ وَأَطَاعُوا، وأَمَّا عَلِيٌّ [رضي الله عنه][(٣)] والحَسَنُ[(٤)]، فإنَّ النَّبِيَّ - صَلَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ عليهِ وسلَّمَ - أَنْذَرَ بِخَارِجَةٍ تَخْرُجُ بَيْنَ طائِفَتَيْنِ: تَقْتُلُها أَوْلَىٰ الطَّائِفَتَيْنِ بِالحَقِّ[(٥)]، وكانَ قاتِلُ تِلْكَ الطَّائِفَةِ أَمِيرُ المُؤْمِنِين عَلِيٌّ رضي الله عنه فَهُوَ صَاحِبُ الحَقِّ بِلا شَكٍّ، ولِذَلِكَ أَخْبَرَ - عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ - بِأَنَّ عَمَّارًا

---

(١) يعني أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم (١٨٥٣).

(٣) في نسخة (ن).

(٤) أخطأ ناسخ (ت) فكتبها: (الحسين).

(٥) رواه مسلم برقم (١٠٦٤).

تَقْتُلُهُ الفِئَةُ البَاغِيَةُ[١].

وكانَ عَلِيٌّ[٢] السَّابِقَ إلىٰ الإمَامَةِ، فَمَنْ نازَعَهُ فمُخْطِئٌ مَأجُورٌ مُجْتَهِدٌ.

ثُمَّ قَوْلُ الأنْصَارِ: «مِنَّا أَمِيرٌ» فَمُرَادُهُمْ: مِنَّا وَالٍ، فإذا ماتَ فَمِنْكُمْ والٍ، وهَكذا أبَدًا، لا عَلَىٰ أنْ يَكُوْنَ إمَامَانِ في وَقْتٍ.

وأمَّا مَعَاوِيَةُ، وعَلِيٌّ: فما سَلَّمَ أَحَدُهُما لِلآخَرِ قَطُّ، وكَذلِكَ أمِيرُ المُؤْمِنِين الحَسَنُ [رضي الله عنه][٣] إلىٰ أنْ سَلَّمَها إلىٰ مَعَاوِيَةَ.

وَرَأيْنَا الأنْصَارَ دَعَوْا إلىٰ سَعْدٍ، والمُهَاجِرِينَ دَعَوْا إلىٰ أبي بَكْرٍ [رضي الله عنهما][٤] وَقَعَدَ عَلِيٌّ في بَيْتِهِ، [فَما][٥] مَعَهُ غَيْرُ الزُّبَيْرِ، وَآلِ بَيْتِهِ، فَلَمْ يَدْعُهُمْ إلىٰ نَفْسِهِ، ولا عَقْدِ بَيْعَةٍ، ثُمَّ تَبَيَّنَ لَهُ الحَقُّ، وأَخْبَرَ أنَّه إنَّما تَأخَّرَ عَنْ [مُبَايَعَةِ][٦] أبي بَكْرٍ عَتْبًا عليْهِ؛ إذْ لَمْ يُشَاوِرْهُ، فَأَعْلَمَهُ

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٩١٦).

(٢) في نسخة (ت): (عليٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ).

(٣) نسخة (ن).

(٤) في (ت): (ما معه).

(٥) في نسخة (ت): (ما معه).

(٦) في نسخة (ت): (متابعة).

أبو بَكْرٍ أنَّه اسْتَعْجَلَ؛ خَوْفًا مِنْ مُبَادَرَةِ أَصْحابِ السَّقِيفَةِ.

ثُمَّ إنَّ الكُلَّ رَجَعُوا إلىٰ طَاعَةِ الصِّدِّيقِ، لِكَمالِ أَهْلِيَّتِهِ - سِوَىٰ سَعْدٍ فَقَطْ - لا لِرَهْبَةٍ مِنْ أبي بكْرٍ، ولا لِرَغْبَةٍ.

وَلَوْ قَالَ مَنْ لا يَعْلَمُ: بَلْ خَافُوهُ! فَتُرَىٰ ما الذي حَمَلَهُمْ عَلَىٰ طَاعَتِهِ، وَهُوَ فِي السِّيَاقِ في اسْتِخْلافِهِ عَلَيْهِمْ عُمَرَ؟

أَكانُوا يُطِيعُونَ أَخا بَنِي تَيْمٍ حَيًّا، ومَيْتًا في شَأْنِ الإمَارَةِ، ويَعْصُونَ سَيِّدَ البَشَرِ، وَيُمِيتُونَ نَصَّهُ لابْنِ عَمِّهِ، ويَكْتُمُونَهُ؟

هذا - والله - لَوْ قَالَهُ [آحَادُ الصِّبْيانِ](١) لَيُئِسَ مِنْ فَلاحِهِمْ، بَلْ هَذِهِ المَقُولَةُ سُلَّمُ الزَّنْدَقَةِ.

ثُمَّ أَنْ لَوْ نازَعَ الأَمْرَ عَلِيٌّ وَطَلَبَهُ، مَعَ فَرْطِ شَجَاعَتِهِ، وكَمالِ رُتْبَتِهِ، وَشَرَفِهِ، وسَابِقَتِهِ: لَبَادَرَ مَعَهُ عَمُّهُ العَبَّاسُ سَيِّدُ قُرَيْشٍ، وَمِثْلُ ابْنِ عَمَّتِهِ: الزُّبَيْرُ حَوارِيُّ رَسُولِ الله صَلَّىٰ اللهُ [تَعَالَىٰ] عليه وسلَّمَ، وَمِثْلُ: أبي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ في بَنِي أُمَيَّةَ، وَأَمْثَالِهِمْ.

وَلَقَدْ صَدَقَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ حَيْثُ يَقُولُ: «يَأْبَىٰ اللهُ وَالمؤمِنُونَ أَنْ يُخْتَلَفَ عَلَىٰ أبي بَكْرٍ» رضي الله عنه(٢)، فَقُلْ لي: ما المُوجِبُ

---

(١) في (ت): (لو قاله أحد من الصبيان).

(٢) حديث صحيح، وهذا لفظ ابن سعد في «طبقاته» (٣/ ١٨٠)، ولفظ مسلم: «أبىٰ اللهُ =

لِمَحَبَّتِهِمْ لأبي بَكْرٍ، وتَقْدِيمِهِ، ومُبَايَعَتِهِ؟ أَلِفَرْطِ قُوَاهُ؟[١] أَمْ لِكَثْرَةِ بَنِي تَيْمٍ، وسُؤْدُدِهِمْ؟ أَمْ لِكَثْرَةِ عَبِيدِهِ، وَأَمْوَالِهِ؟

رَجُلٌ بُويِعَ، فَغَدا عَلَىٰ يَدِهِ أَبْرادٌ لِيَتَكَسَّبَ فِيها، ويُنْفِقَ عَلَىٰ عِيالِهِ حَتَّىٰ رَدُّوهُ، وفَرَضُوا لَهُ في بَيْتِ المالِ نَفَقَته المَعْرُوفَةَ، فَقامَ بِهِ - وبِخَلِيفَتِهِ عُمَرَ - الدِّينُ، وَفُتِحَتِ المَمالِكُ، وَزَالَ مُلْكُ كِسْرَىٰ، وقَيْصَرَ، والمقَوْقسَ، وَذَلَّ الشِّرْكُ، فَأَرْغَمَ اللهُ بِأَنْفِكَ يا باغِضَهُما!

وَلَكِنْ حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْمِي ويُصِمُّ، وَلَوْ شاءَ اللهُ بِكَ الفَلاحَ لَأَكْثَرْتَ مِنْ قَوْلِهِ تَعالَىٰ: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

[الحشر: ١٠]

ثُمَّ العَجَبُ مِنَ الأَنْصارِ الذِينَ: حُبُّهُمْ إيمانٌ، والذِينَ بَايَعُوا نَبِيَّهُمْ عَلَىٰ المَوْتِ، وَآوَوْهُ وَنَصَرُوهُ، وَعَادُوا جَماهِيرَ العَرَبِ؛ بَلْ وحَارَبُوا جُيُوشَ الرُّومِ، وَالفُرْسِ، والقِبْطِ مَعَ كَثْرَتِهِمْ والْتِفافِهِمْ[٢]

= والمؤمنون إلا أبا بكر» برقم (٢٣٨٧).

(١) في (ن): (قوَّتِهِ).

(٢) في نسخة (ن): (واتفاقهم).

عَلَىٰ سَيِّدِهِمْ وكَبِيرِهِمْ - سَعْدٍ - كَيْفَ تَخَلَّوْا[١] عَنْهُ بِمَجِيءِ ثَلاثَةِ أَنْفُسٍ مِنْ قُرَيْشٍ غُرَباءَ عَنْ بَلَدِهِمْ، فَوَاللهِ ما انْقَادُوا [لَهم][٢] وبَايَعُوا الصِّدِّيقَ؛ إلا لَمَّا نُبِّهُوا عَلَىٰ الحَقِّ.

فَرَضْنَا أَنَّهُمْ عَجَزُوا عَنِ الثَّلاثَةِ، وَجَبُنُوا - وَهَذا فَرْضٌ مُحَالٌ -: أَمَا كانُوا يَقُولُونَ: «لا لَنَا، وَلا لَكُمْ أَيُّها الثَّلَاثَةُ؛ بَلْ لِمَنْ نَصَّ لَنَا الرَّسُولُ عَلَيْهِ بِالخِلافَةِ - بِزَعْمِكَ -؟.

فَقَدْتُكَ يا دائصُ[٣]، ما أَبْطَلَ حُجَّتَكَ، وَأَشَدَّ هَوَاكَ وشَنْعَتَكَ[٤]، فَفِيكَ شائِبَةٌ مِنَ اليَهُودِ الذينَ جَحَدُوا الحَقَّ وَقَتَلُوا الأَنْبِيَاءَ.

لَكَ نَفْسٌ أَبُو جَهْلِيَّةٌ[٥]، وَمَعَانَدَةٌ إِبْلِيسِيَّةٌ، فَلَوْ تَرَكْتَ الهَوَىٰ، ونابَذْتَ الجَهْلَ، وَتَرَدَّيْتَ بِالعِلْمِ، وانْقَدْتَ[٦] لِلإِنْصافِ لَأَفْلَحْتَ.

أَعَاذَنا اللهُ - وَإِيَّاكَ - مِنَ المُكابَرَةِ وَالعِنادِ.

---

(١) غير واضحة في النسختين، وما أثبته أشبه.

(٢) في (ن): (له).

(٣) الدائص: اللصُّ، وداصَ دَيْصًا: زاغَ وحادَ.

(٤) في (ت): (شَغَبَك).

(٥) في (ت): (بِنَفْسٍ جَهْلِيَّةٍ).

(٦) في (ت): (واتَّبَعتَ).

فَكِّرْ فِيْما تَقُولُ، فَإِنَّكَ عَمَدْتَ إِلىٰ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ، وَأَهْلِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ، وَخَيْرِ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلْنَّاسِ، وَمَنْ قَالَ اللهُ [تعالىٰ] فِيهِمْ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر: ٨]، فَرَمَيْتَهُمْ بِخِزْيَةٍ لا تَكَادُ تَقَعُ مِنْ أَوْبَاشِ الأَجْنَادِ، وَلا مِنْ مُسْلِمَةِ التَّتَارِ، بَلْ وَلا مِنْ كَفَرَتِهِمْ، وَلا مِنْ حَرَامِيَّةِ الخُوَارَزْمِيَّةِ، وَلا مِنْ أَذِلَّةِ المُنَافِقِينَ، فَأَيْنَ يُذْهَبُ بِعَقْلِكَ؟

فَانْظُرْ – وَيْحَكَ – ما تَقُولُ، وَما يَتَرَتَّبُ عَلَىٰ ما تَزْعُمُ[(١)]، فَإِنَّكَ تَجْعَلُهُمْ شَرَّ الأُمَمِ، وَأَظْلَمَ الطَّوَائِفِ، وَتَنْسُبُهُمْ إِلىٰ النِّفَاقِ، وَكِتْمَانِ الدِّيْنِ، فَوَاللهِ لَوْ جَرَىٰ بَيْنَهُمْ مُنافَسَةٌ، وَخِصامٌ عَلَىٰ الإِمْرَةِ – وَالعِيَاذُ بِاللهِ تعالىٰ– لما ثَنَانَا ذلكَ عَنْ حُبِّهِمْ، وَتَوْقِيرِهِمْ، فَمازَالَ الأَصْحَابُ يَتَنَافَسُونَ، وَيَغْضَبُ بَعْضُهُم مِنْ بَعْضٍ، ثُمَّ يَفِيئُونَ[(٢)] إِلىٰ الصُّلْحِ وَالمَوَدَّةِ، فَقَدْ تَأَلَّمَ مُوسَىٰ صَلَواتُ اللهِ عليه[(٣)] مِنْ أَخِيهِ هارُونَ عليه السلام وانْزَعَجَ مِنْهُ، وَأَخَذَ بِلِحْيَتِهِ، ثُمَّ سَكَنَ وَاسْتَغْفَرَ

---

(١) في النسخة (ن) زيادة هي: (وَما يَتَرَتَّبُ عَلَىٰ ما تَقُولُ).

(٢) في (ن): (يعقبون).

(٣) في (ن): (عليه السلام).

لِنَفْسِهِ وَلِأَخِيهِ(١)، ثُمَّ هَذانِ الخَيِّرَانِ أبو بَكْرٍ [وعُمَرُ](٢) قَدْ اخْتَصَما - كَما في الحَدِيث الثَّابِتِ(٣) - ثُمَّ هَؤُلاءِ الذينَ تأَبَّوْا عَنْ بَيْعَةِ أبي بَكْرٍ قَدْ وَقَعَ بَيْنَهُمْ، فَقَدْ اخْتَصَمَ عليٌّ والعَبَّاسُ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُما في قَضِيَّةِ فَدَكَ، وَتَحاكَما إلى عُمَرَ، فَكَانَ مَاذا؟

ثُمَّ وَقَعَ بَيْنَ عَلِيٍّ، وَبَيْنَ الزُّبَيْرِ، وَبَيْنَ عَلِيٍّ، ومُعَاوِيَةَ وَبَلَغُوْا إلى السَّيْفِ بِاجْتِهَادِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، وَاللهُ يَغْفِرُ لَهُمْ وَيَرْضَى عَنْهُمْ.

ثُمَّ هَذا نَبِيُّنا - صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيهِ وَسَلَّمَ - قَدْ تَأَلَّمَ لابْنَتِهِ فَاطِمَةَ، وَغَضِبَ لَهَا؛ لَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ أَمِيرَ المُؤْمِنِين عَلِيًّا عَازِمٌ عَلَى أَنْ

(١) القصة في سورة الأعراف [آية: ١٥١]، وسورة طه [آية: ٩٢].

(٢) ندَّ عنها القلم في (ت).

(٣) القصة في «صحيح البخاري» برقم (٣٣٨٨) وفيها يقول الصديق: إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الخَطَّابِ شَيْءٌ، فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ، ثُمَّ نَدِمْتُ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي، فَأَبَى عَلَيَّ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ، فَقَالَ: «**يَغْفِرُ اللهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ**»، ثَلاثًا، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ، فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ، فَسَأَلَ، أَثَمَّ أَبُو بَكْرٍ؟ فَقَالُوا: لاَ، فَأَتَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَسَلَّمَ، فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ يَتَمَعَّرُ، حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَاللهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ، مَرَّتَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ، فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي**»، مَرَّتَيْنِ، فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا.

يَتَزَوَّجَ عَلَيْها ابْنَةَ الشَّقِيِّ أبي جَهْلٍ، فَلَمَّا رَأَىٰ عَليٌّ انْزِعَاجَ النَّبِيِّ - صَلَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِلبَغِيضَةِ النَّبَوِيَّةِ تَرَكَ الخِطْبَةَ[(١)]، وَمَا نَقَصَتْ أَصْلًا رُتْبَتُهُ بِذَلِكَ عِندَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَبَّحَ اللهُ الجَهْلَ وَالهَوَىٰ.

ثُمَّ أَيْنَ كانَ عَلِيٌّ، وَالزُّبَيْرُ، وَبَنُو هَاشِمٍ في قُوَّتِهِمْ وَشَجَاعَتِهِمْ عَنْ قَتْلِ رَجُلٍ تَاجِرٍ يَأْخُذُ الأَبْرَادَ عَلَىٰ يَدِهِ وَيَتَكَسَّبُ، قَلِيلِ المَالِ، قَلِيلِ العَشِيرَةِ، وَالخَدَمِ، عَدِيمِ الحَرَسِ، وَالحُجَّابِ، والتَّحَرُّزِ، قَدْ نَافَقَ وَظَلَمَ، وَلِلنَّصِّ كَتَمَ؟

وَمَا الذي أَخَّرَ عَلِيًّا، وذَوِيهِ عَنِ اغْتِيَالِهِ دَفْعًا لِلْباطِلِ، وإِقَامَةً لِلْحَقِّ؟ بَلْ عَلِمَ الفَضْلَ لأَهْلِهِ، وبَايَعَ أبا بَكْرٍ لِسَابِقَتِهِ وفَضْلِهِ، رضي الله عنهما.

ثُمَّ لَوْ قِيلَ: إِنَّ كُلَّ الصَّحَابَةِ نَسُوا النَّصَّ، فَمِنْ أَيْنَ وَقَعَ إِلَىٰ الرَّافِضَةِ؟

وَمَنْ نَقَلَهُ إِلَيْهِمْ؟

فَهَذا كُلُّهُ هَوَسٌ مُحالٌ.

وإِنْ قَالُوا: قَدْ قَتَلَ عَلِيٌّ طَائِفَةً مِنْ قُرَيْشٍ، فَأَثَّرَ ذلكَ نُفُورًا مِنْهُ لِعَشَائِرِهِمْ، وَحِقْدًا في نُفُوسِهِمْ.

---

(١) متفق عليه، البخاري برقم (٣٥٢٣)، ومسلم برقم (٢٤٤٩).

قُلْنَا: هَذَا تَمْوِيهٌ ضَعِيفٌ، وَكَذِبٌ [صَرِيحٌ][(١)]، لأَنَّهُ إِنْ سَاغَ لَكُمْ ذلِكَ فِي بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، وبَنِي مَخْزُومٍ، وَبَنِي عَبْدِ الدَّارِ، وَبَنِي عَامِرٍ، فإِنَّه قَتَلَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ مِنْ هَؤُلَاءِ رَجُلًا أَوْ اثْنَيْنِ، فَقَتَلَ مِنْ بَنِي عَامِرٍ وَاحِدًا - وَهْوَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وُدٍّ - وَقَتَلَ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ، وَبَنِي عَبْدِ الدَّارِ رِجَالًا، وَقَتَلَ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ: الوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ، والعَاصَ بْنَ سَعِيدِ بْنِ العَاصِ، وَقَتَلَ: عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ - فِي قَوْلٍ - فَقَدْ عَلِمَ مَنْ لَهُ أَدْنَىٰ عِلْمٍ بِالأَخْبَارِ أَنَّ هَذِهِ القَبَائِلَ لَمْ يَكُنْ وَلا لِوَاحِدٍ مِنْهُمْ يَوْمَ السَّقِيفَةِ ذِكْرٌ، وَلا عَقْدٌ وَلَا حَلٌّ، اللَّهُمَّ إلا أبا سُفْيانَ: كانَ مَائِلًا إِلَىٰ عَلِيٍّ عَصَبِيَّةً، وَمُنَافَسَةً؛ لِوُصُولِ الأَمْرِ إِلَىٰ بَنِي تَيْمٍ لا لِلدِّينِ[(٢)].

وَكَانَ ابْنُهُ: يَزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيانَ، وَخَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ العَاصِ، والحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ مائِلِينَ إِلَىٰ الأَنْصَارِ تَدَيُّنًا، والأَنْصَارُ هُمْ قَتَلُوا أَبَا جَهْلٍ، وَهْوَ أَخُو الحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ.

ثُمَّ كانَ مُحَمَّد بْنُ أبي حُذَيْفَةَ بْنِ عُتْبَةَ مَعَ عَلِيٍّ عَلَىٰ مَعَاوِيَةَ، فَدَعُوا القِحَةَ، وَعَرِّفُونَا مَنِ الذي قَتَلَ عَلِيٌّ مِنَ الأَنْصَارِ حَتَّىٰ

---

(١) نسخة (ت).

(٢) لو ترك المؤلف الخوض في هذا لكان هو الحق.

يَؤُولَ بِهِمُ الحِقْدُ عَلَىٰ كِتْمَانِ حَقِّهِ، والتَّخَلُّفِ عَنْهُ، فإِنَّ أَكْثَرَهُمْ ما حارَبُوا مَعَهُ.

ثُمَّ قَدْ كانَ لِطَلْحَةَ، والزُّبَيْرِ، وسَعْدٍ مِنْ قَتْلَىٰ المشْرِكِينَ عِدَّةٌ كَما لِعَلِيٍّ، فَما الذي خَصَّهُ بِحِقْدٍ، وَنُفُورٍ دُونَ هَؤلاءِ؟

ثُمَّ آلَ بِالرَّافِضَةِ قِلَّةُ الحَيَاءِ، وَصَفَاقَةُ الوُجُوهِ، وَعَدَمُ الفِكْرِ فِيما يَتَفَوَّهُونَ بِهِ إِلىٰ أَنْ قَالَوا: حَمَلَ الحِقْدُ، وَالشَّحْنَاءُ: سَعْدَ بْنَ أَبي وَقَّاصٍ، وَرَبِيعَةَ بْنَ زَيْدٍ، وابْنَ عُمَرَ، وأُسَامَةَ، وَمُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ، وَأَبا أَيُّوبَ، وَأَبا هُرَيْرَةَ، وَزَيْدًا، في أَمْثَالِهِمْ مِنَ المُهاجِرِينَ، وَالأَنْصَارِ عَلَىٰ التَّأَخُّرِ عَنْ بَيْعَةِ عَلِيٍّ [رضي الله عنه][1].

[قُلْتُ][2]: لَيْتَ شِعْرِيَ: أَيُّ كَلِمَةٍ خَفِيَّةٍ نُقِلَتْ أَنَّهَا جَرَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ؟

وَإِنَّما كانَ رأيُ هَؤُلاءِ - وَأَشْبَاهِهِمْ - أَنَّهُمْ لا يَرَوْنَ القِتَالَ في الفُرْقَةِ فَانْجَمَعُوا عَنِ المُحَارَبَةِ، فلَمَّا وَقَعَ الاتِّفَاقُ عَلَىٰ مَعَاوِيَةَ، وَنَزَلَ لَهُ السَّيِّدُ الحَسَنُ عَنِ الأَمْرِ، سُمِّيَ عَامَ الجَمَاعَةِ، واتَفَقَتِ الأُمَّةُ كُلُّهَا عَلَىٰ رَجُلٍ، وَهَذَا يُبَيِّنُ لَكَ أَنَّ كُلَّ المَوْجُودِينَ في

(١) نسخة (ن).

(٢) من نسخة: (ن).

المَمْلَكَةِ الإسْلاميَّةِ - عامَئِذٍ - رَأَوْا جَوازَ خِلافَةِ المَفْضُولِ مَعَ وُجُودِ الأفْضَلِ، فَقَدْ كانَ جَماعَةٌ مِنَ الصَّحابَةِ بايَعُوا مُعاوِيَةَ، وَهُمْ بِيَقِينٍ أَفْضَلُ مِنْهُ كَسَعْدٍ، وابْنِ عُمَرَ، والحَسَنِ، وعِدَّةٍ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ وَالحُدَيْبِيَةِ، فكانَ ماذا؟

كانَ خَلِيقًا لِلإِمَارَةِ شَرِيفًا، مَهِيبًا، شُجاعًا، حَلِيمًا، جَوادًا، كَثِيرَ المحَاسِنِ، عَلَىٰ هَنَاتٍ لَهُ، فاللهُ يُسامِحُهُ وَيَعْفُو عَنْهُ، فَهْوَ أَوَّلُ المُلُوكِ، وَأَحْزَمُهُمْ، وَلَمْ يَبْلُغْ إِلَىٰ رُتْبَةِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدِينَ، حَاشَا وكَلَّا.

وكذلِكَ قَعَدَ عَنِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، ومَرْوانَ: جَماعَةٌ مِنَ الفُضَلاءِ، فلَمَّا انْفَرَدَ عَبْدُ المَلِكِ بْنُ مَرْوانَ بالأمْرِ بايَعُوهُ، وَأَجْمَعُوا عَلَيْهِ لا رِضًا عَنْهُ، ولا عَداوَةً لابْنِ الزُّبَيْرِ، وَلا تَفْضِيلًا لِعَبْدِ المَلِكِ عَلَىٰ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ، وأَفْضَلُ، وَإِلَىٰ خَوْنِ الرَّافِضَةِ المُنْتَهَىٰ.

ثُمَّ لَوْ كانَ ما افْتَرَوْهُ مُمْكِنًا؛ فَما الذي دَعَا عُمَرَ إِلَىٰ إِدْخالِهِ في أَهْلِ الشُّورَىٰ، فَقَدْ أَخْرَجَ مِنْ أَهْلِ الشُّورَىٰ قَرَابَتَهُ: سَعِيْدَ بْنَ زَيْدٍ العَدَوِيَّ البَدْرِيَّ، أَحَدَ العَشَرَةِ لِكَوْنِهِ مِنْ عَشِيرَتِهِ، وَوَلَدَهُ: عَبْدَ اللهِ ابْنَ عُمَرَ(١)؛ فَصَحَّ أَنَّ أَهْلَ الحَلِّ، والعَقْدِ الذِينَ هُمْ خَيْرُ أُمَّةٍ

(١) صح في ابن عمر حديث لو أورده المؤلف هنا لكفىٰ به شهادة من النبي عليه الصلاة والسلام علىٰ صلاحه: «**إن ابن عمر رجل صالح**» وأن الذهبي

أَنْزَلُوا الإِمامَ عَلِيًّا مَنْزِلَتَهُ، غَيْرَ مُغَالِينَ فِيهِ وَلا جَافِينَ عَنْهُ.

ثُمَّ لَمَّا دَعاهُم إِلَى البَيْعَةِ وَبايَعَهُ المَلأُ مِنَ المهاجِرِينَ وَالأَنصارِ: ما رَأَيْنا أَحَدًا مِنْهُمْ خافَ مِنْهُ لِـمَا سَلَفَ مِنْهُ في كِتْمانِ النَّصِّ - عَلَى زَعْمِكُمْ، وَإِفْكِكُمْ - وَلا اعْتُذِرَ إِليهِ مِنَ الْمُبايَعَةِ لِـمَنْ قَبْلَهُ، وَلا عَنَّفَ هُوَ أَحَدًا مِنْهُم عَلَى جَحْدِ النَّصِّ، [ولا سَبَّهُ][1]، فإِنَّه صَارَ إليهِ [أَزِمَّةُ الأُمُورِ، وَزَالَ مُقْتَضَى التَّقِيَّةِ][2]، وتَمَكَّنَ مِنَ الأَضْدَادِ.

تِلكَ عُقُولٌ لَكُمْ كَادَها بَارِيهَا، [وأَضَلَّهَا][3] وَلَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَها.

وَلا وَاللهِ! رَأَينا الإِمَامَ أَبا الحَسَنِ قَالَ لِلصَّحابَةِ - وَقَدْ قُتِلَ أَمِيرُ النَّاسِ: عُمَرُ، وَرَاحَ مَنْ يُخْشَى ويُخافُ -:

وَيْحَكُمْ: كَمْ هذا الظُّلْمُ؟

وَحَتَّى مَتَى هذا الجَحْدُ؟

وإِلَى كَمْ تَكْتُمُونَ نَصَّ نَبِيِّكُمْ - عَلَيهِ الصَّلاةُ والسَّلام فِيَّ؟

وَإِلَى كَمْ تُعْرِضُونَ عَنْ فَضْلِي البائِنِ عَلَيْكُمْ؟

=

استعملها في كتابه: «الكاشف» برقم (٢٨٧١).

(١) نسخة (ت).

(٢) نسخة (ن) وسقطت من (ت).

(٣) نسخة (ت).

هَبْ أَنَّهُ كَظَمَ، وَسَكَتَ، أَمَا كان في بَنِي هاشِمٍ أحَدٌ لَهُ شَهَامَةٌ، وَصَدْعٌ بِالحَقِّ يَقُولُ لَهُمْ هذا الكَلامَ؟

أَمَا كانَ العَبَّاسُ في جَلالَتِهِ، و[وَقارِهِ][(١)] قادِرًا عَلَىٰ أَنْ يُصَرِّحَ فِيْهِمْ بِذَلِكَ؟ وَلا عَقِيلُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الذي كانَ يُدارِيهِ مَعَاوِيَةُ؟

فَيَا لله العَجَبُ مِنَ الهَوَىٰ الذي في غُلَاةِ الشِّيْعَةِ والكَذِبِ!!

[ثُمَّ][(٢)] قُلْ لِي: أَزَالَتِ الرَّأْفَةُ، والمُرَاقَبَةُ مِنْ قُلُوبِ سَائِرِ المؤمِنِينَ، وَسَادَةِ المجاهِدِينَ أنْ يَعْمَلُوا في حَقِّ مِثْلِ عَلِيٍّ بِمُقْتَضَىٰ أَمْرِ المصْطَفَىٰ وَنَصِّهِ؟

ولا يَبُوحُونَ بِذِكْرِهِ إِلَىٰ أنْ يُقْتَلَ عُثْمانُ صَبْرًا، ويُبادِرُ قَتَلَتُهُ - حِيْنَئِذٍ - وغَيْرُهُم مِنَ الكُبَراءِ إِلَىٰ نَصْبِ عَلِيٍّ إمامًا باجْتِهَادِهِمْ، وَلا يُقَوُّونَ[(٣)] ذلكَ بِإِظْهَارِ ما يَكْتُمُونَهُ مِنَ النَّصِّ؟

لَقَدْ أَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا

وَلَكِنْ لا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي

---

(١) في نسخة (ن): (قدره).

(٢) نسخة (ت).

(٣) في نسخة (ت): (ولا يقومون بذلك).

إنَّها - والله ! - لَإحْدَىٰ الكُبَرِ، اتِّفَاقُ جَمِيعِ خَيْرِ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ مِنْ أوائلِ المَغْرِبِ إلىٰ خُراسانَ، ومِنَ الجَزِيرَةِ إلىٰ أقْصَىٰ اليَمَنِ، عَلَىٰ السُّكُوتِ عَنْ حَقِّ عَلِيٍّ ومَنْعِهِمْ حَقَّهُ، وَلَيْسَ ثَمَّ شَيْءٌ يَخَافُونَهُ قَطُّ، وَلا أحَدٌ يشاقُّونه؟ هذا هُوَ المُحَالُ المُمْتَنِعُ.

ثُمَّ مِنَ الغَدِ: يُبَايِعُونَهُ، ويُطِيعُونَهُ، وَيَبْذُلُونَ نُفُوسَهُمْ دُونَهُ في مِثْلِ يَوْمِ صِفِّيْنَ، والجَمَلِ، وَالرُّؤُوسُ تَنْدُرُ، وَالدِّماءُ كالسُّيُولِ، والمصاحِفُ تُرْفَعُ عَلَىٰ الرِّمَاحِ، والحَالَةُ هَذِه، [وَلا أَحَدٌ يَنْعَقُ بَيْنَ القَوْمِ][1]:

وَيْحَكُمْ اتَّقُوا اللهَ، وهَلُمُّوا إلىٰ نَصِّ نَبِيِّكُمْ!!

وَهَلاَّ نَطَقَ الإمامُ عَلِيٌّ[2] بِذَلكَ يَوْمَ صِفِّينَ، بَلْ أَجَابَ إلىٰ حُكْمِ الحَكَمَيْنِ.

وَقَالَ هَشامُ بْنُ الحَكَمِ الرَّافِضِيُّ: كَيْفَ لا يَجُوزُ عَلَيهِمْ كِتْمَانُ النَّصِّ، وَقَدْ قَتَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا؟

قُلْنَا: يا جاهِلُ! هذا أَعْظَمُ حُجَّةٍ عَلَيْكَ؛ لأنَّ عَلِيًّا أَوَّلُ مَنْ قاتَلَ حِيْنَ افْتَرَقَ النَّاسُ، فما لَحِقَهُم: لَحِقَهُ، ولَكِنْ كانَ الفَرِيْقَانِ

(١) في نسخة (ن): (ولا أحد يصيح بين الناس).

(٢) في نسخة (ت): (كرم الله وجهه).

مُجْتَهِدَيْنِ مُتَأَوِّلَيْنِ، وَاللهُ يَغْفِرُ لَهُمْ، وعليٌّ أَوْلَىٰ بالحقِّ ممَنْ قاتَلَهُ مِنَ الشَّامِيِّينَ، وغيرِهِمْ، فَقَدْ سَمَّاهُمْ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (فِئَةً باغِيَةً)، ونَحْنُ نَكُفُّ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحابَةِ، وأنْتَ فَبِجَهْلِكَ تُفَرِّقُ بَيْنَهُمْ، وَتَحُطُّ عَلَىٰ سائِرِهِمْ؛ فِيما لَمْ يَتَشاجَرُوا فِيهِ، فأَيُّ الفَرِيْقَيْنِ أَحَقُّ بالأَمْنِ، وأَقْرَبُ إلىٰ الوَرَعِ؟

[فلَمَّا][1] استُشْهِدَ الإمامُ عليٌّ[2] وقامَ الحَسَن، ثُمَّ أَقْبَلَ في كَتائِبَ أَمْثَالِ الجِبالِ، ومَعَهُ مِئَةُ أَلْفِ عِنانٍ يَمُوتُونَ لِمَوْتِهِ، فَما الذي جَعَلَهُ في سَعَةٍ مِنْ تَسْلِيمِ الأَمْرِ إلىٰ مَعَاوِيَةَ، وإعانَتِهِ عَلَىٰ الضَّلالِ، وإبْطالِ حَقِّهِ مِنَ العَهْدِ النَّبَوِيِّ إليهِ، وإلىٰ أبيهِ؟!

ثُمَّ يُوافِقُهُ عَلَىٰ ذلكَ أَخُوهُ: الحُسَيْنُ الشَّهِيدُ، وَيَسْكُتُ، فما نَقَضَ يَوْمًا بَيْعَةَ مَعاوِيةَ أَبَدًا؟!

فلَمَّا ماتَ مَعَاوِيَةُ: قامَ الحُسَيْنُ، وَسارَ يَطْلُبُ الإمَارَةَ، وَتَحَرَّجَ مِنَ القُعُودِ عَنِ الحَرْبِ، فَقَاتَلَ حَتَّىٰ اسْتُشْهِدَ ﷺ فَلَوْلا أَنَّهُ رَأَىٰ [مَبايَعَتَهُ][3] لِـمَعَاوِيَةَ سائِغَةً؛ لَفَعَلَ مَعَهُ كما فَعَلَ مَعَ يَزِيدَ، هذا ما

(١) في نسخة (ن): (ثم).

(٢) في نسخة (ن): (كَرَّمَ اللهُ وجْهَهُ).

(٣) في نسخة (ن): (معاونته).

لا يُمارِي فِيهِ مُنْصِفٌ، فإنَّ السِّبْطَيْنِ سَلَّما الأمْرَ إلىٰ مَعَاوِيَةَ: طائِعَيْنِ غَيْرَ مُكْرَهَيْنِ وهُما في عِزٍّ، وَمَنَعَةٍ، وَجَيْشٍ لَجِبٍ، فَدَلَّ ذلكَ عَلَىٰ أنَّهما فَعَلا المُباحَ، وَأَصْلَحَ اللهُ - تَعَالَىٰ - بَيْنَ الأُمَّةِ بالسَّيِّدِ الحَسَنِ، وحُقِنَتِ الدِّماءُ، وَسَكَنَتِ الدَّهْماءُ، وانْعَقَدَ الإجْماعُ عَلَىٰ مُبايَعَةِ المفْضُولِ الكامِلِ السِّياسَةِ، مَعَ وُجُودِ الأفْضَلِ الأكْمَلِ، ولله الحَمْدُ.

وَلَوِ امْتَنَعَ السِّبْطانِ في ذلكَ الوَقْتِ، ونَواصِي العَرَبِ في يَدِ الحَسَنِ؛ لا شَكَّ أنْ يَكُونَ لَـهُمْ النُّصْرَةُ عَلَىٰ أهْلِ الشَّام.

فهذا زِيادٌ، وَمَنْ هُوَ زِيادٌ؟ امْتَنَعَ، وهو فَقْعَةُ القَاعِ[1]، لا عَشِيرَةَ لَهُ، ولا نَسَبَ، ولا سَابِقَةَ[2]، فما أطاقَهُ مَعَاوِيَةُ إلا بالمُداراةِ، والمُلاطَفَةِ حَتَّىٰ وَلاهُ، واسْتُلْحِقَ بهِ أخَا، وَفي هذا عِبْرَةٌ لمنْ أنْصَفَ.

سَلَّمْنا سابِقَةَ عليٍّ، وتجرِبَتَهُ، وجِهادَهُ، وفضَائِلَهُ، وأنَّه أفْضَلُ أهْلِ زَمانِهِ، فما الذي جَعَلَ السَّيِّدَيْنِ السِّبْطَيْنِ بِمَنْزِلَتِهِ، وفي

(١) الفقعة نبات الكمأة، وهو نبات لا عروق له ولا أغصان، وكانت العرب تقوله لمن لا أصل له.

(٢) في نسخة (ن): (و لا نباهة).

الوَقْتِ مَنْ هوَ قَرِيبٌ مِنْ أَبِيهِما في المَرْتَبَةِ كَسَعْدٍ، وَسَعِيدٍ، ثُمَّ كابْنِ عُمَرَ، الذي لَوْلا شَيْءٌ لَقُلِّدَ الخِلافَةَ يَوْمَ الحَكَمَيْنِ، وَكَذلِكَ لا نَجِدُ لِزَيْنِ العابِدِينَ عليِّ ابْنِ الحُسَيْنِ[١] سُبوقًا - مَعَ عَظَمَتِهِ وَشَرَفِهِ - في عِلْمٍ، وَلا عَمَلٍ عَلَىٰ سعيدِ بْنِ المسَيِّبِ، والقاسِمِ، وسالمٍ، وعُرْوَةَ، وكذلكَ لا تَجِدُونَ لأبي جَعْفَر مُحَمَّد بْنِ عليٍّ[٢] سبوقًا في العِلْمِ، والعَمَلِ - مَعَ أَهْلِيَّتِهِ لِلْخِلَافَةِ - عَلَىٰ أخِيْهِ زَيْدٍ، وابْنِ شِهابٍ، وعبدِ الرحمنِ بْنِ القاسِمِ، وَعُمَرَ بْنِ عبدِ العَزيزِ، ولا لجَعْفَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ[٣]- مَعَ صَلاحِيَّتِهِ لِلإمامَةِ - عَلَىٰ عبدِ الله بْنِ

(١) ترجمته في «تاريخ الإسلام» (٢/ ١١٤٤).

(٢) ترجمته في «تاريخ الإسلام» (٣/ ٣٠٨)، وكان مما قاله الذهبي فيها: «كان أحد من جمع العلم، والفقه، والشرف، والديانة، والثقة، والسؤدد، وكان يصلح للخلافة، وهو أحد الاثني عشر الذين تعتقد الرافضة عصمتهم، ولا عصمة إلا لنبي، لأن النبي إذا أخطأ لا يقر عَلَىٰ الزلة، بل يعاتب بالوحي عَلَىٰ هفوة إن ندر وقوعها منه، ويتوب إلىٰ الله تعالىٰ، كما جاء في سجدة (ص) أنها توبة نبي، وأما قولهم الباقر، فهو من بَقَرَ العلم أي شقَّه فعرف أصله وخفيه».

(٣) ترجمته في «تاريخ الإسلام» (٣/ ٨٢٨)، قال الذهبي عنه: «مناقب جعفر كثيرة، وكان يصلح للخلافة لسؤدده وفضله وعلمه وشرفه رحمه الله وقد كذبت عليه الرافضة، ونسبت إليه أشياء لم يُسمع بها، كمثل كتاب «الجفر»، وكتاب =

عُمَرَ، وابنِ أبي ذِئْبٍ، ولا لِمُوسَىٰ بن جَعْفَرَ[١] عَلَىٰ عبدِ الله بْنِ [عمرَ بْنِ] عبدِ العزيزِ الزاهدِ العُمَرِيِّ، ولا لِعَلِيِّ بْنِ مُوسَىٰ الرِّضا[٢] عَلَىٰ مُحَمَّد بْنِ إدريسَ الشافعيِّ المُطَّلِبِيِّ، وأَمَّا ولدُ الرِّضا، وحَفِيْدُهُ عليُّ بْنُ مُحَمَّد[٣]، ونافلته الحَسَن بن مُحَمَّد العَسْكَرِي[٤] فهؤلاءِ لَهُمْ شَرَفٌ، وسُؤْدُدٌ في الجُمْلَةِ، ولَكِنَّ بَينَهُمْ

= «اختلاج الأعضاء»، و«نسخ موضوعة»، وكان ينهىٰ محمد بن عبد الله بن حسن عن الخروج، ويحضه عَلَىٰ الطاعة، ومحاسنه جمة، توفي إلىٰ رضوان الله في سنة ثمان وأربعين ومئة، وله ثمان وستون سنة».

(١) ترجمته في «تاريخ الإسلام» (٤/ ٩٨٤).

(٢) ترجمته في «تاريخ الإسلام» (٥/ ١٢٨).

(٣) ترجمته في «تاريخ الإسلام» (٦/ ١٣٠).

(٤) ترجمته في «تاريخ الإسلام» (٦/ ٦٩) قال الذهبي: «أحد أئمة الشيعة الذين تدعي الشيعة عصمتهم، ويقال له الحسن العسكري؛ لكونه سكن سامراء، فإنها يقال لها العسكر. وهو والد منتظر الرافضة. توفي إلىٰ رضوان الله بسامراء...» ثم قال: «وأما ابنه محمد بن الحسن الذي يدعوه الرافضة القائم الخلف الحجة، فولد سنة ثمان وخمسين (٢٥٨هـ) وقيل سنة ستٍّ وخمسين. عاش بعد أبيه سنتين، ثم عدم، ولم يعلم كيف مات، وأمه أم ولد. وهم يدعون بقاءه في السرداب من أربعمائة وخمسين سنة، وأنه صاحب الزمان، وأنه حي يعلم علم الأولين والآخرين، =

وبَيْنَ زينِ العابدينِ، وابنِهِ الباقِرِ، وَحَفِيْدِهِ الصادقِ: بَوْنٌ بَعِيدٌ في العِلْمِ وَالفَضْلِ.

وأمَّا ثاني عَشَرِهِمْ المنتَظَرُ - المَعْدُومُ - فَفِيهِ قَولانِ لا ثالِثَ لَهُما البَتَّةَ: إمَّا أنَّه وُجِدَ ثُمَّ ماتَ، أوْ لَمْ يَكُنْ قَطُّ، وَهْوَ الأشْبَهُ، فأمَّا أنْ يَكُونَ دَخَلَ، وَهْوَ صَبِيٌّ في سِرْدابِ بَلَدِ (سُرَّ مَنْ رأىٰ) مِنْ نَحْوِ مِنْ أَرْبَعِمِائَةٍ وسَبعينَ عامًا، وَهْو إلىٰ الآنِ حَيٌّ يُرْزَقُ، ولا بُدَّ أنْ يَخْرُجَ، ويَمْلأها عَدْلًا وقِسْطًا، وأنَّه يَعْلَمُ عِلْمَ النَّبِيِّ - صَلَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ عليهِ وسلَّمَ - جميعه؛ وعلم الإمام علي كله؛ لا بل علم الأولين، والآخِرِينَ، وأنَّه لا يَجُوزُ عَلَيهِ سَهْوٌ، وَلا نِسْيانٌ، وأنَّه مَعَصُومٌ، وأنَّهُ، وَأنَّه....

فهذِهِ خُرافاتُ الكذَّابِينَ مِنَ الرَّافِضَةِ، الذينَ لا يَسْتَحْيُوْنَ مِنَ اللهِ فيما يَدَّعُوْنَهُ، وما نَعْلَمُ المنْتَظَرَ - الذي هوَ الآنَ حَيٌّ، ومِنْ قَبْلِ الإسْلامِ بِدَهْرٍ - إلا المَسِيْحَيْنِ مَسِيحَ الهُدَىٰ، الذي هُوَ الآنَ في السَّماءِ، ومَسِيْحَ الضَّلالِ: المَغْلُولَ في جَزِيرَةٍ بِبَحْرِ الرُّومِ[1]، وَهْوَ الدجَّالُ شَرُّ

=

ويعترفون أن أحدًا لم يرهُ، فنسأل الله أن يثبت علينا عقولنا وإيماننا».

(١) يشير إلىٰ حديث الجساسة في «صحيح مسلم» برقم (٢٩٤٢).

مُنْتَظَرٍ، الذي يَقتُلُهُ المسيحُ عِيسىٰ بْنُ مَرْيَمَ عليه السلام بِبَابِ لُدّ[١].

ثُمَّ هذا رَيْحَانَةُ رَسولِ الله - صَلَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ عليه وسلَّمَ - الحُسَيْن قَدْ تَأَخَّرَ، وقلَّما رَوَىٰ أَوْ أَفْتَىٰ، لَعَلَّ مَجْمُوعَ ذلكَ المَرْوِيِّ عَنْهُ لا يَبْلُغُ وَرَقَتَيْنِ، وَهذا ابْنُ عَمِّهِ عبدُ الله بنُ عباسٍ حَبْرُ الأُمَّةِ: قَدْ جُمِعَ فِقْهُهُ فِي عِشْرِيْنَ جُزْءًا، ويَبلُغُ حَدِيثُهُ نَحْوًا مِنْ ذلكَ، وكذلكَ عليُّ بْنُ الحُسَيْن لا يَبلُغُ حَديثُهُ، وَفُتْياهُ ثلاثَ وَرَقاتٍ أَوْ أزجح، وسَعِيدُ بْنُ المسَيِّبِ: لَوْ جُمِعَ عِلْمُهُ، وفِقْهُهُ، وحَدِيثُهُ؛ لَبَلَغَ مجلَّدًا تامًّا، وأمَّا أبو جَعْفَرٍ: فَلَهُ رِواياتٌ، وأقوالٌ تَبْلُغُ جُزءَيْنِ، وكذلكَ ولَدُهُ: جَعْفَر، بَلْ أكثَرُ مِنْ ذلكَ، وأمَّا مُوسَىٰ الكاظِمُ: فلا يَبلغُ نَصْفَ ذلكَ.

وهُمْ يَقُولُونَ: إنَّ الإمَامَ مِنْ هؤلاءِ الاثنىٰ عَشَرَ عِنْدَه عِلْمُ جَمِيعِ الشَّرِيعَةِ، فما بَالُ مَنْ ذَكَرْنا - مَعَ حُرْمَتِهِمْ، وتَمَكُّنِهِمْ مِنَ البَلاغِ - أظْهَرُوا النَّزْرَ اليَسِيرَ مِنْهُ، وكَتَمُوا سَائِرَهُ؟!

فإنْ كانَ غَرَضُهُمْ كِتْمانُ العِلْمِ، فهَذِهِ [سَماجَةٌ][٢] عَظِيمَةٌ، ومُصِيبَةٌ.

---

(١) رواه مسلم في «صحيحه» برقم (٢٩٣٧).

(٢) نسخة (ن).

ثُمَّ لماذا أَعْلَنُوا ما يَجِبُ كِتْمانُهُ؟

فدَعُوْا الأَباطِيلَ، والدَّعاوَىٰ الكاذِبَةَ، فإنَّما العِلْمُ بالتَّعَلُّم.

وإنْ زَعَمْتُم أنَّ اللهَ يُعَلِّمُهُمْ أوْ يَأْتِيْهِمْ بِذلكَ وَحْيٌ فَقَدْ ساوَيْتُمُوهُمْ بالأنبياءِ.

نَعُوذُ بالله مِنَ الخذْلانِ[1]، ولا حَوْلَ ولا قُوةَ إلا بالله العَليِّ العَظِيْمِ، وصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنا مُحَمَّد، وعَلَىٰ آله وصَحْبِهِ [الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ][2].

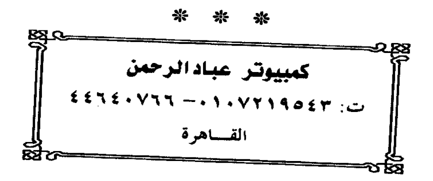
* * *

(١) اللهم آمين.

(٢) نسخة (ن).

فهرس الفوائد والمحتويات

* * *


كمبيوتر عباد الرحمن
ت: ٠١٠٧٢١٩٥٤٣ - ٤٤٦٤٠٧٦٦
القــاهرة